



ونظر كلاهما إلى الآخر فرآه لا يرتدى إلا قيص النوم وقد
علقت في جيده صفيحة عليها رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد
تناول القهوة، ولكن من لنا بها الآن؟ » ثم عاد إلى البكاء

وقال : « ما الذى نفعه يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا تقريرا
فكيف نبحث به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذى يجب أن نفعله
يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقا وأنت تذهب غربا ، ثم نعود
إلى الاجتماع هنا ، وإذا اهتدى أحدهنا إلى رأى تشاورنا فيه »
وهنا اختلفا في تعرف الشرق والغرب وتذكرا قول رئيس
الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فأجعل الشمال أمامك ، فالذى
على يمينك عند ذلك هو الشرق » ، ولكنهما لما أرادا أن يعرفا
أين هو الشمال أتجها نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما
قضيا كل حياتهما في دار المحفوظات ؛ فقد ذهب مجهودهما هذا
عشا

وقال أحدهما : « أرى يا صاحب السعادة أن يذهب أحدهنا
إلى اليسار والآخر إلى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلا عن عمله في دار المحفوظات
بتدريس علم الخط وقتنا ما ، فهو لذلك أذكى قليلا من صاحبه
وكان كما اقترح . أما الموظف الذى ذهب إلى اليمين فوجد
أشجارا تحمل كل أنواع الفاكهة ؛ وكان بوجهه لو يستطيع تناول
تفاحة ، ولكن الثمر كان بشديد اللؤلؤ فلا يستطيع الحصول عليه
إلا إذا تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ، ولكن
ذهبت محاولته سدى . وكل الذى نجح فيه أنه مزق قيص نومه
وألقى نظرة على الماء فرآه ممتلئا بالسمك ، فتمنى لو أن كل
ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع بودشكاي . ولما مر
هذا الخاطر بنهته جرى لمابه ، ومشى في النابة ، فرأى كل
أنواع الطيور والأرانب والغزلان فقال :

« يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على الحصول
عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد إلى المكان الذى اتفق
مع صاحبه على لقائه فيه فوجده فى انتظاره

وتفضلوا بقبول احترامى

للصهي الرسمى - الكوكوف

كانا فى وقت ما يشغلان منصبين من مناصب الحكومة
وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك وعلى غرة منهما
وجدنا نفسيهما « يشحنان » إلى جزيرة غير مأهولة كأنما
بتقلهما إليها بساط سليمان
وكانا قد قضيا عمرهما فى ديوان حكومى نشأ فيه وتريا
وشابا ؛ وكانما قد ولدا به أيضا . وهما من أجل ذلك لا يعرفان أى
شئ لا يتصل بأعمالهما ، وكل الذى يعرفانه ينحصر فى الصيغ
الديوانية اللؤلؤة التى تنتهى بهذه الجملة « وتفضلوا بقبول
احترامى »

لكن هذا الديوان ألقى وألقتهما الحكومة فهاجرا ، بمد
أن أطلق سراحهما ، إلى شارع بودشكاي فى بطرسبورج ، وكان
لكل منهما فيه منزله وطاهيه ومعاشه
ولما استيقظا من النوم فى الجزيرة التى « شحنا » إليها ،
وجدنا نفسيهما نائمين تحت لحاف واحد . ولم يفهما بالطبع فى
البداية ماذا أصابهما ؛ فأخذتا يتكلمان كما لو كان الأمر بينهما
يجرى على عادته

قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذى رأيته ليلة أمس يا صاحب
السعادة ! لقد رأيت فى الحلم أنى نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »
لكنه ما كاد يتلق بهذه الكلمات حتى وثب من مكانه
ووثب الموظف الآخر أيضا ، وقال فى دهشة شديدة : « ولكن
أين نحن الآن ؟ وهل كان ما رأيناه حلما ؟ »

ولس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو فى حلم أم يقظة .
وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع قليل من الأرض خلفه
المحيط أيضا ، فبكيا لأول مرة بعد أن ألقى ديوانهما

قال : « ماذا وجدت يا صاحب السعادة ؟ » فأجابه صاحبه : « لم أجد غير عند قديم من جريدة الوقائع الرسمية : « فأخذ يتحدث عما وجدته هو . وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منهما أن ينام ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لهما أرقاً شديداً . وكان من أسباب الأرق بنا تفكيرهما في العاش المرتب لكل منهما، وفيمن يتقاضاه عنهما لأن فيمتعه دونهما . وكان من أسباب الأرق فضلاً عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من سمك وسماني وأرانب وفاكهة . وأن ليس في مندورهما الحصول على شيء منها

قال أحد الموظفين : لا أعرف كيف نعيش هنا ؟ إننا حتى لو استطمنا الحصول على ما نرغبه فكيف نذبحه وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر : « إنني في الحسب لا أفهم كيف يحدث كل ذلك »

ثم عادا إلى لصمت وحاولا أن يناما ، ولكن قبل أن تتمض عيونهما مر سرب من السماني فتخيلاه وهو مقلي على الأطلاق . وقال أحد الموظفين : « لقد هممت من شدة الجوع أن آكل خذائي » فأجابه الآخر : إنني سأمتص جوربي »

ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة شر كأن نفسه تجده به بأن يأكل صاحبه ؟ ثم صرخ كل منهما صرخة جنونية كأنها عواء الذئب . وقال الموظف الذي اشتغل مرة بالتدريس : أظننا لن ننتظر حتى يحاول أحدنا أن يأكل الآخر » فأجابه : « وكيف نفعل ؟ إننا بلا ريب سنلاقي الموت ؛ فأرايك يا صاحب السعادة ؟ »

قال يجب أن تقطع الوقت بالمحادثة ، وإلا فإن واحداً منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه الموظف الآخر : « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدى أنت »

قال الموظف الذي كان مدرسا : « قل لي لماذا تشرق الشمس أولاً ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون العكس ؟ » فأجابه الآخر : « هذا سؤال مضحك يا صاحب السعادة . إن الشمس تشرق لكي نستيقظ ويذهب كل منا إلى الديوان ، ثم تغرب لكي تنام »

قال : « ولكن لماذا لا تقترض العكس فنذهب عند شروق الشمس إلى الفراش فننام ونحلم ، وعندما تغرب الشمس . . . » فقاطعه الآخر قائلاً : « إن هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس يحمل الإنسان على الاستعداد للذهاب ، كما

أن غروبها يحمل الإنسان على طلب العشاء . » وقد أفسدت كلمة العشاء المحادثة لأنها هاجت جنون الموظفين الجامعين ، فقال أحدهما : « إن أحد الأطباء قال لي إن الإنسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما في جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لا أفهم ماذا تعنيه »

قال : « هذا يعني أن في الجسم أنواعاً مختلفة من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بعض حتى تصير إلى الخلاصة النهائية » فقال الآخر : « وماذا يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الإنسان في النهاية إلى طعام جديد ليتحول إلى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال : « إذن فالعبرة كلها بالطعام ! لمنة الله على الطعام ! »

وأدرك الموظفان أن هذا النوع من الحديث لا يؤدي إلى النرض الذي يقصدان إليه ، بل هو يزيد من شهوتيهما فقرروا أن يتركا الحديث ؛ فلما طال بهما الصمت تذكر أحدهما الوقائع الرسمية فتناولها ليقرا فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى — وهي خبر وليمة رسمية — إلى ذكر أنواع الطعام ، فأخذ الآخر منه الجريدة ليقرا خبراً آخر . وأخذ يقرأ ، ولكن الخبر — وهو استكشاف جديد — قد انتهى بإقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام

ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة لا تتعلق بدياتها بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره أيضاً . فأطرق كلا الرجلين وتساءبا تثاراً مؤلماً

ثم برقت عينا صاحب السعادة إذ خطر بباله خاطر سميد . ووقف فجأة ليعلم استكشافه وصاح : « ماذا تقول ؟ لقد عرفت السيل إلى النجاة ، فإذا تقول إذا أتينا بخادم ؟ »

فصاح الآخر : « وكيف تأتي بخادم يا صاحب السعادة ؟ وأي صنف من الخدم تجده هنا ؟ »

فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن يبد لنا الطعام وأن يصيد السماني والسمك ويطبخهما »

قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ » فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون في كل مكان . إننا نقوم فنبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمان الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل منهما ليبحث

من أوله إلى النهاية

لكن السأم دب إلى نفسيهما، فقد كانا يذكران ثيابهما الرسمية
ومعاشهما وطاهيهما في بطرسبورج فتندرف عيونهما الدمع
وقال أحدهما: لا أعرف كيف شارع بودشكايا الآن
يا صاحب السعادة . فقال: لا تذكرني به فقد كاد يقتلني الحنين
إلى الوطن

قال الآخر: « إن الحياة هنا لذينة لا عيب فيها ، ولكن
الحمل يتوق إلى ثدى أمه ، ونحن نتوق إلى رؤية بلدنا وإلى
ارتداء ثيابنا الرسمية في يوم قبض المعاشات على الأقل

قال صاحب السعادة: « إن الملابس الرسمية حتى ولو كانت
من الدرجة الرابعة تسر الإنسان وتسيه متاعه
واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى لكي يعودا إلى
شارع بوتشكايا

فصنع لهما من أشجار الغابة سفينة لم تكن كسائر البفن ،
ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بمضها إلى بعض ، ومنع لنفسه
مجدافين ليتولى بمفرده تسيير السفينة

وبدأت الرحلة ، فكانا يلتمانه وبلقبانه بأقبح الألقاب كلما
ظنا أن حياة اثنين من الموظفين ستعرض للخطر في سفينة
هذا الخادم

وكان البليدان لا يعملان شيئا في السفينة ، فهض الخادم مع
انفراده بالتجديف يهيئ لهما الطعام مما يصيده من السمك ويشويه
حتى بلغت السفينة النهر

وما كان أسعدها عندما انتقلت السفينة من بحر البلطيق إلى
نهر النيفا . ودخلت السفينة قناة كترينا وها لا يزالان بها ، ولم
يخطر ببالهما أن يقطعا بقية المسافة مشيا على الأقدام . وفي النهاية
وصلا إلى العاصمة

كانت سعادتهما سعادة بالغة عندما نزلا من السفينة فجلسا على
أقرب مقهى من الشاطئ يشربان القهوة . وفي اليوم التالي لبسا
الثوب الرسمي وذهبا لقبض التجمد من المعاش . ولست أستطيع
الإخبار عن مقدر هذا المعاش ولكنها لم ينسها الخادم ، فقد
أهديا إليه زجاجة من الويسكي وخمسة قروش صحيحة .. تمتع يا خادم

عن خادم ، وطالت مدة بحثهما ، ولكنها لم تذهب سدى ، فقد
وجدنا في النهاية رجلا أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد
الماغز وهو نائم تحت شجرة كبيرة ، فلكره صاحب السعادة
وصاح: « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد نموت من الجوع
قم ! »

فنهض الخادم ونظر إلى الموظفين وكان أول ما هم به أن يفر
ولكنهما أمسا بتلابيبه فاستسلم السكين للقدر المقدر عليه ،
وصدع بالأمر وتسلق شجرة تفاح فجمع للسيد الجديدين خير
ما فيها ، وقطف تفاحة توشك على الفساد فجعلها لنفسه . ثم نزل
عن الشجرة ، فجمع مقدارا من البطاطس وأوقد النار بضرية
حجرين في وسط هشيم وطبخ البطاطس ؛ وفي أثناء ذلك صاد
أرنبا فأضافها إلى الطعام ، وصاد كذلك زوجا من السمائي ؛ فأدرك
الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة بقرب هذا الخادم . ونسبا
أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل . وقال كل منهما للآخر
« ما أسعد حياة الموظف ! »

وقال لهما الخادم: « هل أنتما مسروران ؟ » فقالا: « نعم
ونحن نقدر خدماتك »

قال: « فهل تسمحان لي الآن بأن أستريح ؟ فقالا: « نعم
على شرط أن تأتي لنا بجبل أولا » فذهب وجمع أليافا طويلة ولم
يزل يفتلها حتى صنع منها جبلا طويلا ستينا فسلمه اليهما واستأذن
في السماح له بالراحة فتيدها بالحبل وأذنا له بأن ينام في ظل الشجرة
المجاورة

وزاد حنق الخادم في تهيئة الطعام فزاد الموظفان بدانة وصحة.
وقال أحدهما للآخر وها يتناولان طعام الإفطار: « ما رأيك
يا صاحب السعادة ؟ هل تعتقد أن قصة برج بابل قصة رمزية أم
قصة واقعية ؟ »

فقال: « إنها بلا شك قصة واقعية، والدليل على ذلك كثرة
ما في العالم من اللغات . وإلا فكيف تنشأ اللغات لولا تبلبل
الأسن ؟ »

قال الآخر: « وهل تعتقد أن قصة الطوفان صحيحة ؟ » فقال
صاحب السعادة: « نعم بنير شك . ودليلها وجود أنواع كثيرة
من الحيوان » وتناول عدد الوقائع الرسمية فأخذ يقرؤه للمرة العاشرة

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة
المجلد الأول من كتاب

وعلى الرسالة

فصول في اللغز والفرز واليك والجمع

للاستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحاته خمائة صفحة ونيفا
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات ومثمه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة